د. نهى القاطرجي

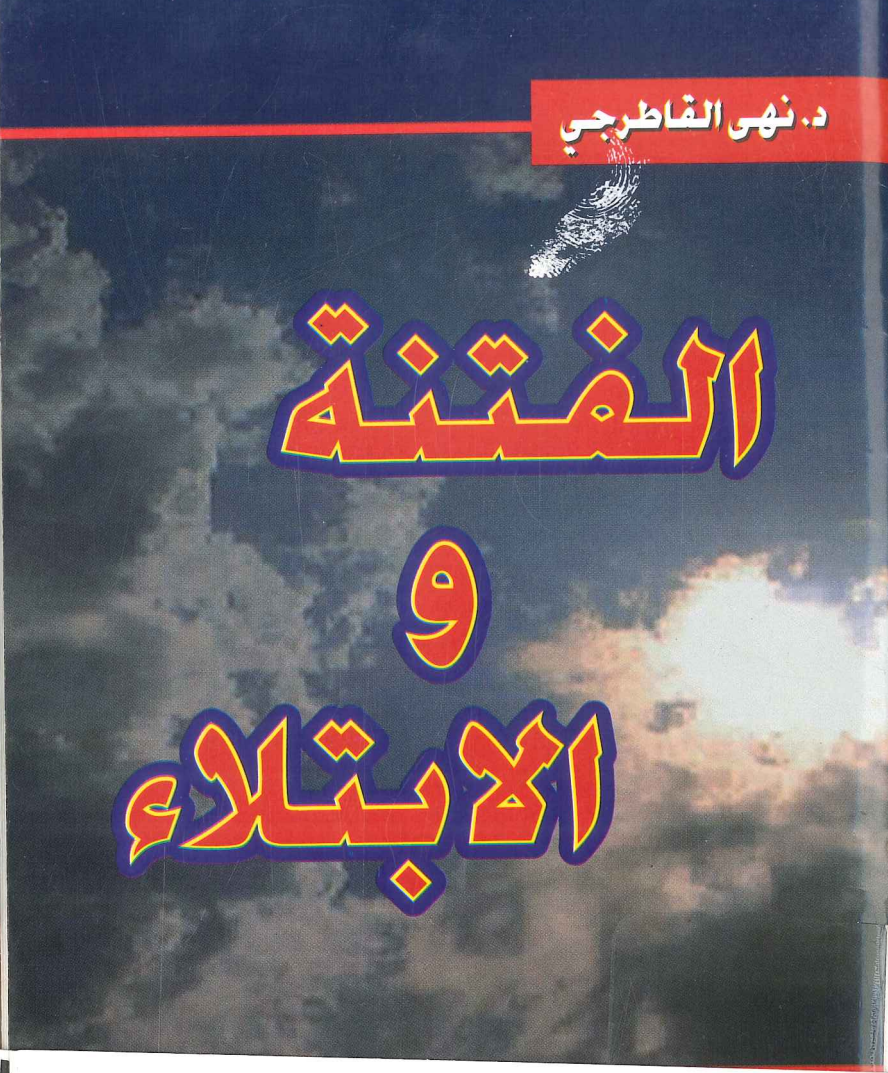

# الفتنة و الابتلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول رسول الله ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، رواه مسلم.

اللهم اجعل ثواب هذا العمل في ميزان حسنات هدى محمد القاطرجي، غفر الله لها وأدخلها فسيح جنّاته.

# الإهــداء

إلى روح من أعطتنا دروساً في الرضا والتسليم

إلى روح من سهرت لننام، وتعبت لنرتاح

إلى روح من علمتنا كيف نستبدل الدمع بالضحك

إلى روح من قاومت لنصمد، وجاهدت لنسعد

إلى روح من كانت لنا أماً وأباً وصديقاً ونِعم المعين

إلى روحك الطاهرة يا أمنا الغالية. ندعو الله ونستجير

أن يجزِيَك عنا خير الجزاء وأن يمدنا بالصبر والسلوان

**مروان، ماهر، وداد، مازن، وائل**

كلية الامام الاوزاعي للدراسات الاسلامية
المكتبة

جَميع الحقوق محْفوظة
لأبنـــاء
هدىٰ محمد القاطرجي
رحمها الله

الطّبعَة الأولىٰ
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

* للحصول على نسخ من هذا الكتاب
يمكن الاتصال برقم الهاتف:
٠١/٦٥٥٧٢٠
بيـــروت - لبنـــان

# الفتنة والابتلاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**وبعد،**

إن الحديث عن الابتلاء من الأحاديث المهمة التي تجذب اهتمام الناس لكونه يمس مشاعر وآلام كل الناس في كل مكان وزمان مهما علت درجتهم، ابتداءً من الأنبياء وانتهاءً بالأطفال، فإذا كان من بين الناس من لا يعيش فترة بلاء حالية فهذا لا يعني أنه لم يعرف البلاء في حياته أبداً، لأن هذا أمر مستحيل أن يحدث، فمقاساة المكاره والآلام أمر ملازم لهذه الدنيا لا ينجو منه أحد، مؤمناً كان أم كافراً.

وهنا قد يتساءل البعض: لماذا خلق الله ﷻ البلاء؟ ولماذا لا يعيش الإنسان على الأرض بهناء دون متاعب وآلام، فيكون الجميع متساوين في العطاء والنِّعم ويتمتعون بالخيرات دون آلام وأحزان؟

ويمكن أن يخطر على بال البعض أيضاً التساؤل التالي: لماذا يتألم بعض الناس بينما غيرهم يعيش برفاهيةٍ ونعيم؟ لماذا هناك فقرٌ وغنى؟ لماذا هناك حروبٌ ودمار؟

إنّ مما يخيف في هذه التساؤلات هو قدرتها على توصيل المفكّر بها إلى الكفر، والعياذ بالله ﷻ، وذلك في حال اعتقد أن الله ﷻ بحرمانه الناس من النِّعم يظلمهم ويجور عليهم، أو أنه، والعياذ بالله ﷻ، غير عادل بتمييزه في العطاء بين الناس.

للإجابة عن كل هذه التساؤلات نبدأ أولاً بالإشارة إلى أن سبب اعتراض بعض الناس على الابتلاء ناتج عن فهم خاطئ لماهية هذه الحياة

الدنيا وصفاتها، فهم يعتقدون أن الهدف من هذه الحياة الدنيا هو الوصول إلى السعادة عبر جمع الأموال والتمتع بالملذات، بينما السعادة في الحقيقة هي الإيمان بالله ﷻ والقيام بالطاعات التي توصل إلى النعيم الأبدي وهو نعيم الآخرة، قال تعالى في وصف حال الناس: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦].

فالله ﷻ جعل من صفات هذه الدار الدنيا: الفناء لا البقاء، وصفتها الأساسية أنها دار ممر للعبد إلى حياة الآخرة الدائمة، لهذا ميز الله ﷻ بين صفة الدنيا وصفة الآخرة وجعل الثانية تَبَعاً للأولى، فإذا أحسن الإنسان العمل في الدار الدنيا فاز بنعيم الآخرة الأبدي، وإذا كان عمله سيئاً كان نصيبه العقاب في النار، إما مُدَّةً وإما أبداً.

بناءً على ما تقدم يمكن أن نستنتج الهدف من الوجود على هذه الأرض وهو طاعة الرب الخالق

وعبادته والذي يظهر في الفتنة والابتلاء، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٣].

ففي هاتين الآيتين بيّن الله ﷻ الهدف من وجود الإنسان على الأرض ألا وهو الابتلاء، أي الاختبار والامتحان، ليظهر في عالم الشهادة من يستحق نعيم الجنة ممن يستحق جحيم النار، وهذا الابتلاء هو وسيلة التمييز بين العبد الصالح والعبد الطالح.

وقد جعل الله تعالى لهذا الابتلاء بابين: باب الشدة وباب الرخاء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومن هنا يمكن قسمة الابتلاء إلى قسمين:

١ ـ **الابتلاء بالشر**، وهو النوع الذي دعا رسول الله ﷺ إلى التعوُّذ منه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جَهْد البلاء،

ودَرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء)[1].

وسبب تعوّذ رسول الله ﷺ من شدة البلاء وسؤال الله العافية يعود إلى أن البلاء أمره شديد على النفس لا يطيقه كل الناس مهما ادَّعوا القوة والقدرة، حتى الإيمان نفسه يُخشى عليه من الضعف أمام شدة البلاء، لهذا كان النبي ﷺ ينصح أصحابه بأن لا يسألوا الله البلاءَ بل يسألوه العافية، أما إذا وقع البلاء فلا دواء له إلا بالصبر والرضا، قال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نِعمتِك، وتحويل عافيتك، وفُجاءة نَقمتك، وجميع سُخطِك)[2].

وتظهر الحاجة إلى الاستعاذة من البلاء كونه لا يأتي موافقاً لأهواء الشخص، بل على العكس من ذلك فقد يُبتلى العبد بما يكره ويعجز عن حمله مما يؤدي به إلى الكفر في أبعد تقدير أو يؤدي به إلى ارتكاب المعاصي التي تدل على ضَعف إيمانه بالقضاء والقدر.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود.

فالابتلاء إذاً هو ميزة هذه الحياة الدنيا لا فرق في وقوعه بين مؤمن وكافر، وإن كانت نتيجة هذا الابتلاء تختلف عند المؤمن عنها عند الكافر في نقطتين:

أ ـ الاختلاف في نتيجة الابتلاء بين الاثنين، إذ فيما يُبتلى المؤمن بالشدة ليُعلم مدى صبره على البلاء ويُعرف مدى يقينه بنصر الله ﷻ، ويُبتلى بالرخاء والنعيم ليُعلم مدى شكره لله ﷻ على نعمه ومدى تأديته لثواب هذا الشكر من زكاة وصدقة، يُبتلى الكافر بالشِّدة فرصة له للتوبة والعودة إلى الله ﷻ ويبتلى بالخير لكي يزيدَ بطراً وكفراً فتزداد عليه الحجة يوم القيامة.

ب ـ الاختلاف في نتيجة الابتلاء التي تظهر على سلوك الاثنين، بمعنى آخر يُبتلى الكافر والمؤمن ببلاءٍ شديد مدة من الزمن، بعد ذلك يفرِّج الله ﷻ البلاء عن الاثنين، فيخرج الأول من بلائه وقد ازداد كفراً وطغياناً، بينما يخرج المؤمن وقد ازداد إيماناً بالله ﷻ الذي وعد المؤمن الصابر

بالأجر والثواب على صبره، فيكون البلاء بالنسبة للمؤمن نعمة إذ خرج منها وهو في حالة إيمانية أفضل مما كان عليه، وهو بهذا يكون قد استفاد من المصيبة التي رفعت درجته عند الله ﷻ وجعلته يستشعر حبَّ الله تعالى له وقربه منه، قال رسول الله ﷺ: (عجبت لأمر المؤمن، إن أمر المؤمن كله له خير، ليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاءُ شكرَ وكان خيراً، وإن أصابته ضرّاءُ صبرَ وكان خيراً)[1].

ومن التجارب التي تروى في هذا المجال تجربتان:

**الأولى** قديمة حدثت للإمام ابن تيمية رضي الله عنه وهو في سجن دمشق، فقد كان يقول: «ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، يعني بذلك إيمانه وعمله، أين رحتُ فهي معي لا تفارقني، إن حَبْسي خَلوة، وقتلي شهادة،

---

(١) رواه أحمد.

وإخراجي من بلدي سياحة، ولو بذلت لهم ما في هذه القلعة ذهباً ما جزيتهم على ما تسبّبوا لي فيه من الخير»، وقد بقي الشيخ محبوساً حتى مات في السجن رَحِمَهُ اللَّهُ.

**والثانية** معاصرة حدثت مع الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي ابتلي بمرضٍ عضال (شديد) خطير عاش معه فترة طويلة قبل أن يموت، فكان خلال مرضه صابراً محتسباً سعيداً، فها هو يقول: «إن شفائي إن كان يعني زوال هذه الحال التي أنا فيها مع ربي فلا حاجة لي إلى ذلك الشفاء».

٢ ـ **الابتلاء بالخير** والنِّعم التي منَّ الله عَزَّوَجَلَّ بها على عباده من مالٍ وبنينَ وصحة وعافية وغير ذلك من النعم التي إن أحسن العبد التصرف بها وأدّى حق الله عَزَّوَجَلَّ فيها من زكاة وصدقة وقيام بالطاعات فاز في الدنيا بالسعادة وفاز في الآخرة بالجنة، أما إذا لم يحسن التصرف في هذه النعم وبَطِر بنعمة الله عليه كان هذا المال وبالاً عليه واستدراجاً من الله له يجره إلى ارتكاب المعاصي التي يمكن أن

تدخله النار، لهذا لا يصح أن يعتقد الإنسان أن هذه النعم مِلْكٌ له يستطيع التصرف فيها كيف يشاء، فهي نعم مؤقتة يمكن أن يسلبه إياها الله ﷻ متى شاء، ومن الأقوال التي تقال في هذا المجال: «هذه الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب».

من هنا من المفيد الانتباه إلى هذا الأمر عند الحديث عن نعم الله تعالى، فلا نحسد غيرنا على ما أعطاه الله من نعمه، ولا نتمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض، خاصة أن الله ﷻ نبهنا إلى أن هذه النعم قد تكون فتنة واختباراً لهؤلاء الأشخاص وليس دليلَ محبةٍ وتمييز لهم عن سواهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

فلو كان مقياس العطاء المادي من الله ﷻ قائماً على المحبة لكان أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وهم أحب المخلوقات إلى الله ﷻ، أحقَّ بهذا العطاء من سواهم، وهذا الأمر لم تذكره كتب

السِّير وكتب التاريخ، فكلنا نعلم أن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام، أفضلَ مخلوق على الإطلاق، كان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، وكان أهل الصُّفة وهم من صحابة رسول الله ﷺ يخرّون من قامتهم في الصلاة من الجوع، حتى قال لهم رسول الله ﷺ: (لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة)[1].

(١) الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج١، ص٢٥٦.

# شدة البلاء

يتبين مما سبق أن البلاء أمره خطير لا يقوى عليه كل الناس، خاصةً أنه يشتدُّ في كثيرٍ من الأحيان مع اشتداد إيمان العبد وذلك تطهيراً للمؤمن من الذنوب حتى يلقى الله ﷻ وليس عليه خطيئة، سئل رسول الله ﷺ: «أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)»[1].

وهنا قد يتساءل من في قلبه ضَعف إيمان

(١) رواه الترمذي.

مكتبة الأمير غازي للثقافة الإسلامية

بالله ﷻ: في هذه الحالة حال الكافر في الدنيا أفضل من حال المؤمن، فالله ﷻ يعطيه ويحرم المؤمن ويزيده بلاءً، مع أنه أحقّ من الكافر في العطاء؟ أو قد يتساءل عن سبب كون حال الكافر في هذه الحياة الدنيا أفضل من حال المؤمن يتمتع بنعيم المال والجاه بينما يتخبط المؤمن في الفقر والجوع؟

إن هذ الكلام لا يمكن الأخذ به بشكل مطلق لسببين:

١ ـ إن إعطاء الله ﷻ المال والغنى والصحة للكافر أمور لا يمكن أن نجزم بها في كل الأحوال، إذ إنه كما يوجد كافر غني يوجد أيضاً مؤمن غني، فعطاء الله ﷻ في هذه الحالة لا يتعلق بالمحبة وإنما يتعلق بحكمته ﷻ، وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إن الله ﷻ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب)[1].

٢ ـ إن اشتداد البلاء على المؤمن لا ينفي وجود

---

(١) رواه أحمد.

المدد والعون من الله تعالى، في حين ينتفي هذا الأمر تماماً بالنسبة للكافر، حيث يشهد الواقع أن ما يصيب المؤمنين من الشرور والمحن والأذى دون ما يصيب الكفار، وهذا كثيراً ما يلاحظ عند المرض أو عند الموت، فنجد أن المؤمنين وإن أصيبوا بالأمراض إلا أن مدتها أقصر من مدة الأمراض التي تصيب الكفار، فالله ﷻ يلطف بالمؤمن عند وقوع المصيبة ويمدّه بالشفاء أو بالموت كمنقذ له من آلامه، أو يمدّه بالصبر والاحتساب، بينما نجد الكافر يئن ويتوجع لدرجة تدفعنا إلى الشفقة عليه وتمني الموت له كي يريحه ﷻ من العذاب، مع أن عذاب الآخرة أشد وأخزى وأبقى.

وقد أكد القرآن الكريم على حقيقة شدة بلاء الكافر خاصة أنه لا يعرف معنى الصبر الذي يعرفه المؤمن، كما أنه لا يؤمن بالأجر الذي ينتظره المؤمن، فأيُّ البلاءين أشد؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ [النساء: ١٠٤].

أما كون المؤمن لا يرى بلاء الكافر فذلك لأن الكفار يبرعون في إخفاء بلائهم، فهم إذا أصيبوا ببلاءٍ يستعينون بأموالهم لكي يختفوا عن أنظار الناس، حتى إذا ظهروا أمامهم ظهروا يتصنَّعون السعادة والرضا، ليس لكونهم راضين بالفعل بل لأنهم لا يُظهرون مشاعرهم خوف شماتة الأعداء والمنافسين.

ومن هنا من المفيد ذكر قصة ذكرها الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» تعين المؤمن على التصبر عند الابتلاء وتلخص له الفرق بين بلاء المؤمن وبلاء الكافر، وهذه القصة تروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حيث قال: «شكا نبي من أنبياء الله ﷺ إلى ربه فقال: يا رب، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تَزوي عنه الدنيا وتَعرض له البلاء، ويكون الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا، فأوحى الله تعالى إليه: (إن العباد

لي والبلاء لي وكُلٌّ يسبِّح بحمدي، فيكون المؤمن عليه من الذنوب، فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزِيَه بحسناته، ويكون الكافر له حسنات، فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزِيَه حسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزِيَه بسيئاته)[1].

فالفرق إذاً واضح، المؤمن تُكفَّر عنه ذنوبه حتى يلقى اللهَ وليس عليه ذنب فيدخل الجنة، والكافر تكون له حسنات فيأخذ أجره في الدنيا ويلقى الله ﷻ وقد استوفى كامل حسناته فيُلقى في النار.



(١) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج٤، ص١٣٢.

# أنواع البلاء

يمكن تقسيم البلاء إلى نوعين: بلاءٌ في الدين وبلاءٌ في الدنيا، وبلاء الدين هو الكفر والمعصية وسوء الخُلُق في الدنيا التي تؤدي إلى العقاب من الله ﷻ إما مُدَّةً وإما أبداً، وأما البلاء في الدنيا فهو بدوره ينقسم إلى نوعين: نوعٌ عامٌّ لكل الناس مؤمنين وكافرين، ونوعٌ خاصٌّ يصيبُ المؤمنينَ الذين أخذوا على عاتِقهم هَمَّ نشر الدَّعوة وحَمْلَ مَشاقِّها.

ويتمثل النوع الأول العامُّ بالأمراض والهموم والغموم التي هي أمور «لازمة للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم، لما اقتضته حِكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرّد الخير في هذا العالم عن الشرّ، والنفع عن الضرّ،

واللّذة عن الألم لكان ذلك عالَماً غير هذا العالَم ونشأة أخرى غير هذه النشأة»[1].

ويتمثل النوع الثاني الخاص من البلاء في الدنيا بالأذى والضرر الذي يصيب المؤمنين من المشركين والكفار الذين يحاولون أن يطفئوا نور الله ﷻ دون إدراك أن الله مُتمُّ نوره ولو كره الكافرون، ومن نماذج هذا النوع ابتلاء النبي محمد ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، فقد أوذي النبي ﷺ من مشركي قريش، فكان أبو لهب يطرح النَّتَن والعَذِرَة (النجاسة) على باب النبي عليه الصلاة والسلام، وكان مشركو قريش يرمون عليه رَحِمَ الشاة وهو يصلي. أما النماذج عن تحمّل الصحابة رضوان الله عليهم للشدائد فكثيرة، منها آل ياسر الذين كانوا يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام، فكان

---

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، حققه وعلّق عليه الدكتور السيّد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص٥٣٨.

رسول الله ﷺ يمرُّ بهم وهم يعذبون ويقول: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)[1].

وإذا أردنا أن نقسم هذه الأنواع من الابتلاءات فيمكن قسمتها إلى أربعة أقسام: الابتلاء في النفس، والابتلاء في المال، والابتلاء في العِرض والابتلاء في الأهل والأحباب.

## ١ ـ الابتلاء في النفس:

إن الابتلاء في النفس هو من أشد أنواع الابتلاءات، وقد يكون هذا الابتلاء بفقدان جزء من الجسم، كذهاب البصر أو السمع أو الرِّجْل، وهذا النوع من الابتلاء ذَكَره رسول الله ﷺ بقوله في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه ﷻ: (إذا ابْتَلَيْتُ عبدي بحبيبتَيْه فصبر عَوّضته منهما الجنة)، يريد: عينيه[2].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة الحلبي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ. ـ ١٩٥٥م.، ص٣٢.

(٢) رواه البخاري.

وقد يكون ابتلاء الجسم أيضاً عبر الإصابة بمرض عُضال (شديد) أو فتَّاك، كالطاعون مثلاً، ويتصف هذا النوع من البلاء بكونه بلاءً مزمناً يرافق الإنسان مدة طويلة وقد يزداد في كل فترة سوءاً إلى أن يقضي على صاحبه بعد صراعٍ طويلٍ مع المرض، وهذه الأمراض هي أشد المصائب خطورة على نفسية المريض لكونها تشعره بالألم والعجز معاً.

ولهذا فإن كثيراً من الناس يردُّهم مرضهم عن الإيمان ويؤدي بهم إلى الكفر بالله ﷻ لاعتقادهم بأن الله ﷻ ابتلاهم لأنه لا يحبهم ولا يرحمهم، مع أنهم على علم بأن الصبر على المرض يخفِّف الذنوب ويطهِّر النفوس، وأن الصبر على المرض المزمن يجعل المريض يفوز بأجر الشهيد.

وهذا الفوز يحصل في حال إصابة الإنسان بمرض السرطان أو مرض الطاعون أو أي مرض يشبههما، فمن أصيب بأحد هذه الأمراض واحتسب الأجر عند الله ﷻ عُدّ شهيد آخرة وثوابه الجنة إن شاء الله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها أنها

سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها (أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كَتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد)[1].

ومن النماذج النبوية عن هذا النوع من الابتلاءات ابتلاء النبي أيوب عليه السلام الذي صبر على الأمراض والأسقام مدة طويلة كما صبر على فقد الولد وعلى الفقر بعد أن كان من أغنى الناس، قال تعالى في وصف صبر أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وكان جزاء صبره الفرج وكشف الضر، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

---

(١) رواه البخاري.

## ٢ ـ الابتلاء في المال:

يكون الابتلاء في المال بذهاب الأموال وكساد التجارة فيصبح الإنسان فقيراً محتاجاً يسأل الناس بعد أن كان غنياً يسأله الناس، وهذا النوع من الابتلاء حصل مع النبي أيوب عليه السلام الذي فقد كل ما كان يتمتع به من مال وولد حتى تركه الناس ولم يبق له إلا زوجته تخدمه في مرضه، وحصل أيضاً لعديد من الصحابة الكرام منهم أبو بكر الصِّدّيق رضي الله عنه الذي أنفق ماله في سبيل الدعوة حتى لم يُبق لنفسه شيئاً، فقد رُوي أنه «بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر رضي الله عنه، وعليه عباءة قد جَلَّلها في صدره بخِلال[1]، إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فأقرأه من الله السلام، وقال: يا رسول الله، ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد جلّلها على صدره بخِلال، قال: (يا جبريل، أنفق ماله عليَّ قبل الفتح)، قال: فأقرئه

---

(١) المعنى: إنه ثقب طرفي العباءة وربطهما بخِلال، أي بعود رفيع أو شوكة أو نحوه.

من الله السلام وقل له: يقول لك ربُّك: أراضٍ أنت عنيّ في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: (يا أبا بكر: هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول: أراضٍ أنت عني في فقرك أم ساخط؟)، فبكى أبو بكر وقال: أَعَلى ربّي أغضب؟ أنا عن ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ»[1].

## ٣ ـ الابتلاء في العِرْض:

من نماذج الابتلاء في العِرض نموذج النبي ﷺ الذي ابتُلي بالتهجم على عِرضه في حادثة الإفك حيث تكلم الناس في زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وبرّأها الله تعالى بالوحي حيث قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

---

(١) الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، م.س.، ج١، ص٢٦٣.

وتتلخص هذه الحادثة بأن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت في غزوةٍ مع رسول الله ﷺ، فتوقف الجيش في الطريق للراحة، فخرجت السيدة عائشة من هودجها لتقضي حاجتها وعندما عادت وجدت أنها فقدت عِقدها فأخذت تبحث عنه حتى فاتتها القافلة التي أكملت سيرها دون أن تشعر أن السيدة عائشة رضي الله عنها ليست في الهودج، فجلست تنتظر عودة البعض لينقلها إلى القافلة بعد أن يفقِدوها، فلم يلبث أن مرّ الصحابي «صفوانُ بن المُعطَّل» رضي الله عنه المكلَّف حماية مؤخّرة الجيش، فنقلها على راحلته ولم يكلِّمها طوال الطريق، إلا أن بعض الناس أخذوا يتناولون السيدة عائشة رضي الله عنها بالسوء مما تسبَّب بالضيق للنبي ﷺ مدّة من الزمن إلى أن برّأ الله عز وجل السيدة عائشة رضي الله عنها من فوق سَبعِ سماوات.

## ٤ ـ الابتلاء في الأهل والأحباب:

يكون الابتلاء في الأهل والأحباب كالأب والأم والزوجة والولد باسترجاع الله سبحانه وتعالى أمانته، أي بموتهم، ويُظهر الصبر على هذا النوع من

الابتلاء مدى رضا الإنسان بالقضاء والقدر، وهذا الابتلاء شديد على النفس خاصة أنه يأتي بغتة، وقد ابتُلي رسول الله ﷺ بموت أبيه قبل ولادته، وبموت أمه وأولاده الذكور والإناث جميعاً ما عدا فاطمة رضي الله عنها في حياته، حتى أنه ابتلي بأكبر مُصابَين في عام واحدٍ حيث توفيت زوجته خديجة رضي الله عنها وعمه أبو طالِب اللّذان كانا أهم شخصين في حياته.

وأشدُّ أنواع هذا الابتلاء موت الولد لكون هذا الأخير قطعة من جسد الأب أو الأم، لهذا جعل الله عز وجل الأجر على صبر هؤلاء كبيراً، قال رسول الله ﷺ: (أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا حجاباً من النار)، قالت امرأة: واثنان؟ قال: (واثنان)[1].

ومن النماذج المعاصرة عن هذا النوع من الابتلاء حادثةٌ وقعت لشيخ كبير كان له ولدان «أحدهما في التاسعة عشرة والآخرُ في السادسة عشرة، يعملان

---

(١) رواه البخاري.

في الإشراف على معمل لأبيهما لغسل وتشحيم السيارات، فبينما هما قافلان من المعمل إلى المنزل على الدراجة البخارية إذ اختل توازن إحدى الشاحنات الكبيرة فمالت عليهما ونزلت خلفهما إلى الطريق الترابي فقتلتهما بطريقة مروِّعة، وقد ألقي القبض على السائق، وأودع السجن تمهيداً لمحاكمته، فذهب الوالد المنكوب فصلى عليهما ودفنهما ثم توجَّه إلى مركز الشرطة وتقدَّم إلى الضابط المسؤول بالرجاء المُلح بأن يأذن للقاتل بالخروج من السجن والعفو عنه بعد أن كتب تنازلاً عن حقِّه فيما فعله بولديه، وهو رجل وجيه لا يُرَدُّ له رجاء، إلا أن الضابط اعتذر له عن ذلك واكتفى بقَبول التنازل والسماح له برؤية القاتل، فلما دخل الشيخ على القاتل عانقه وبكيا معاً وقال له: لستَ أنت الذي قتلتَهما، إنما هو يومهما وهذه ساعتهما وهذا موضعهما وَفْقَ قَدَرٍ لا يتقدم ولا يتأخر زماناً ولا مكاناً، وإنما أنت مُنَفِّذٌ لهذا القدَر رغماً عن أنفك، وقد عفوت عنك وسامحتك وأنا حزين

على عائلتك وأولادك . . . إلى غير ذلك من كريم الشِّيَم وكمال الأخلاق».

إن تصرف هذا الشيخ يمثِّل ذروة الإيمان بالله ﷻ وبقضائه وقدره، فالمؤمنُ لا يجوز له أن يجزع عند المصيبة لعلمه أن الجزع لن يجدي نفعاً ولن يعيد غائباً، ولعلمه بأن وقع المصيبة لا بد زائل مع الوقت، فلو استمر حزن الناس على موتاهم لما عَمُرت الدنيا وازدهرت.

وهذا لا يعني أن المطلوب من المؤمن أن لا يحزنَ على موتاهُ، فرسول الله ﷺ بكى ابنه إبراهيم وقال: (تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا ﷻ، والله إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون)[1]، إنما المطلوب أن يسترجع كما أمره الله ﷻ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦]، وأن يَسْتَحْضِر قول رسول الله ﷺ للمرأة التي كانت

---

(١) رواه أحمد.

تبكي ابناً لها: (إن الصبر عند أول صدمة)[1]، وليتذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي جاء فيه: «ما أصابني من مصيبة إلا رأيتُ أن لله عليَّ فيها ثلاثَ نِعَم: النعمة الواحدة حيث لم تكن المصيبة في ديني، والنعمة الثانية حيث لم يكن ما هو أكبر منها، فدفع الله بها ما هو أعظم منها، والنعمة الثالثة ما جعل الله لي في الأمر بالكفارة لما كُنّا نتوقّاه من سيئات أعمالنا»[2].

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد.

(٢) ابن العربي، الوصايا، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص٤٣.

# أسباب الابتلاء

إن أسباب ابتلاء الله ﷻ لعباده متعددة، والإنسان في هذه الدنيا لا يخلو في كلِّ لحظة من ابتلاء، فالعبادةُ ابتلاء، والفراغ ابتلاء، والكلام ابتلاء، والعمل ابتلاء، كل لحظة في هذه الدنيا لا تخلو من ابتلاء، من هنا فإن الله ﷻ جعل الابتلاء مقروناً بهذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧].

وإذا أردنا أن نُعدِّد أسباب الابتلاء فيمكن أن نذكر فيما يلي بعضاً منها:

١ ـ امتحان الله لعباده ليميِّز بين من يريد الدنيا وزينتها ممن يريده ويريد ما عنده، وليميِّز أيضاً بين الخبيث والطيب، فيكون للكافر جزاء النار ويكون

للمؤمن جزاءُ الجنة، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٧].

فكثير من الناس يدَّعون الصلاح والصبر مع أنّهم عند أوَّل مصيبة يكفرون بالله ﷻ الذي ابتلاهم دون سواهم، حسب زعمهم، لذلك يأتي الابتلاء ليفضح هؤلاء المدَّعين، فكما هو معروف فإن المرض والفقر والجوع والآلام وفقدان الأولاد وذهاب الأصدقاء لا تطيقها كل النفوس، لذلك قال أحد الحكماء: «ليس شقاؤك أن تكون أعمى بل شقاؤك أن تعجز عن احتمال العمى».

٢ ـ تكميل العبد لعبوديته في حالتي السراء والضراء، وفي حالتي العافية والبلاء، فلله ﷻ في كلتا الحالتين عبودية، فلو كان الإنسانُ لا يصيبه ألمٌ ولا وجع لما ارتدع عن الفواحش وتواضع لله وعطف على الناس، ولما شعر بحاجته إلى الله ﷻ ليتضرّع إليه بصفاته التي عَرَّفه إياها، من هنا كتب

«بعض الكُتّاب إلى صديقٍ له في محنةٍ لحقته: إن الله تعالى يمتحن العبد ليُكْثِرَ التواضع له والاستعانة به، ويُجدِّد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذ بيده في شدَّته لأن دوام النِّعم والعافية يبطران بالإنسان حتى يُعجَب بنفسه ويعدِلَ عن ذكر ربه».

٣ ـ عقوبة العبد على ذنوب اقترفها وتطهيرُه من الذنوب والمعاصي، «ويروى في الخبر أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه: كيف الفرحُ بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: (غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تمرض؟ أليس يصيبك الأذى؟ ألست تحزن؟ فهذا ما تُجْزَوْن به)»[1].

٤ ـ كشف حقيقة من يدعي مخافة الله في الغيب، حيث ينهال الابتلاء على المؤمن وتعرض

---

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، م.س.، ص٥٣٦.

له صورة اللَّذات مع قدرته على نيلها، مثال على ذلك ما حصل للنبي يوسف عليه السلام عندما دعته ربة منزله إلى نفسها، فما كان جوابه إلا أن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

وقد نجاه الله تعالى من هذا الموقف وكذلك ينجّي الله كُلّاً على حسب إيمانه، فمن نَقَص إيمانه نَقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا «إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه وماله أو بإدالة (تفوّق) عدوه عليه فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجب أو بفعل محرم وهو من نقص إيمانه»، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].



كلية الدعوة وأصول الدين
المكتبة

# فوائد الابتلاء

إن الفوائد التي يمكن أن يرجوها المؤمن من الابتلاءات التي يمر بها في حياته متعددة أهمها ما يلي:

١ ـ استخراج الأمراض النفسية من الإنسان كأمراض الحسد والكِبْر والبخل وغير ذلك من الأمراض التي لو بقيت فيه لأهلكته، أو أنقصت ثوابه وأنزلت درجته، فمعلومٌ أن الله ﷻ لا يحب المتكبرين ولا يحب البخلاء.

٢ ـ تكفير السيئات والذنوب، قال رسول الله ﷺ: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كَفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكُها)[1].

(١) رواه البخاري.

٣ ـ رَفعُ المنزلة والدرجة عند الله تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه ﷻ: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوّضتُه منهما الجنة)، يريد: عينيه[1].

٤ ـ مكافئة الله لعباده في الدنيا قبل الآخرة وتعويضهم عما فقدوه، كما حصل لأيوب عليه السلام الذي عوَّضه الله ﷻ عن خسارته في المال والأهل، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري.

# دواء الابتلاء

يمكن تقسيم دواء الابتلاء إلى عدة أقسام:

١ ـ التوبة التي هي أهمُّ دواءٍ يواجه به المؤمن البلاءَ، قال تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة: ٧٤].

٢ ـ التقوى التي تؤدي إلى تيسير الأمور وذهاب البلاء، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ولقوله أيضاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، أي: من وجهةٍ لا تخطر بباله.

٣ ـ التعرُّف إلى الله ﷻ في الرخاء الذي يؤدّي إلى نصر الله في الشدة، فقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله

تجده أمامك، تعرَّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة)[1]، ويذكر القرآن أن سبب نجاة النبي يونس عليه السلام من بطن الحوت هو كونه من المسبِّحين، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤].

٤ ـ الدعاء الذي هو سلاحُ المؤمن الذي يُدفع به المكروه ويُحصل بواسطته على المطلوب، فالله سبحانه وتعالى وعد عباده باستجابة الدعاء فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

والمضطر هو كل من أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجوء والتضرع إلى الله تعالى.

٥ ـ كثرة الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وكثرة الاستغاثة بالله عز وجل، أما كثرة الاستغفار فلأن

---

(١) رواه أحمد.

البلاء لا ينزل إلا بذنبٍ وعلاجُ الذنوبِ في الاستغفار، أما كثرةُ الصلاة على النبي ﷺ، فلقول رسول الله ﷺ: (أتاني آتٍ من ربي ﷻ فقال: «من صلّى عليك من أمتك صلاة كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات وردّ عليه مثلها»)[1].

أما كثرة الاستغاثة بالله ﷻ فَلِكَوْنِ أنّ النبي ﷺ كان إذا نزل به هَمٌّ أو غَمٌّ يقول: (يا حيُّ يا قيّوم برحمتك أستغيث)[2].

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الترمذي.

# الخاتمة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٦] وقال ﷻ أيضاً: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

تشير هاتان الآيتان إلى أن شدة الابتلاء على المؤمن لا تعني بالضرورة أنه لن يرى الخير أبداً وأنه سيبقى في البلاء طوال حياته، والمثل يقول: «بقاء الحال من المُحال»، فالشدة لا بد أن تزول ويعقِبها سرور وفرح، وكذلك الفرح لا بد أن يعقِبه حزن، هذه سُنَّة الله في خلقه، «يوم لك ويوم عليك»، ويروى في هذا المجال أن بعض القدماء كان إذا أصابهم فرح بَكَوْا، فإذا سُئِلوا عن سبب بُكائهم قالوا: نبكي خوفاً مما ينتظرنا بعد هذا الفرح من مصائب وأحزان.

ومما يعين المؤمن على تجاوز محنته أمران:

١ ـ التأسي بمصائب الآخرين، فكما يقول المثل: «من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته»، فما من مصيبة إلا ويُتصوّر ما هو أعظم منها وما يدفعه (يُبعده) الله في كل حالٍ هو أكثر.

ومن القَصص القديمة التي تروى في هذا المجال قصة رجل نظر إلى امرأة في البصرة فقال: «ما رأيت مثل هذه النَّضارة وما ذاك إلا من قلّة الحزن! فقالت: يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحدٌ، قال: فكيف؟ قالت: إنّ زوجي ذبحَ شاةً في يوم الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان، فقال أكبرهما للآخر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم، فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحِّطاً في دمه، فلما ارتفع الصّراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبلٍ فلحقه ذئب فأكله، فخرج أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحرِّ، فأرداني الدهر كما ترى»[1].

---

(١) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، م.س.، ج٤، ص٤٨٩.

٢ ـ تذكُّر وَعْدِ الله ﷻ عباده المؤمنين الصابرين بالنصر وكشف الضُّر عنهم، قال تعالى في بشارة الصابرين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال تعالى في نصره لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

فنصر الله لعباده أمر وعدهم إياه ﷻ، وهذا ما يجب أن يؤمنوا به يقيناً وينتظروه مهما طال الزمن، فلولا هذا اليقين بالنصر وتبديل الأحوال لما دعا أحدٌ إلى الله ولما جاهد مجاهدٌ في سبيله. ومما يعين المؤمن على أن يتخطّى مصيبته علمه بصفات الله ﷻ وأفعاله التي لا تخرج عن الحِكمة التي ولئن غابت عن أعيننا في لحظة من اللحظات إلا أنها ستظهر لنا فيما بعد، وعندئذ يشكر المؤمن ربه على قضائه وقدَره غير المنفكَّيْن عن حكمته التي هي من جانب الخير مطلقاً.

وقد لفت الله ﷻ عباده إلى هذه الناحية عن طريق إيراد قصة عبد من عباده الصالحين مع نبيِّ الله

موسى عليه السلام، فقد قام هذا العبد بأعمال تبدو لأول وهلة أعمالاً تخريبية مما دفع بموسى عليه السلام إلى الاستغراب من الحكمة وراء ذلك، ولكن ما أن بيَّن له هذا العبدُ حكمة الله من وراء هذه الأعمال حتى آمن بأن الله سبحانه وتعالى مُنَجٍّ عبادَه المؤمنين، فكلنا قرأ هذه القصة في سورة الكهف حيث قام هذا العبد الصالح بخرق السفينة كي يحمي رزق أصحابها المساكين من مَلِك البلاد الذي كان يريد أن يأخذ كل سفينة صالحة خالية من العيوب، أما قتله للغلام فكان بسبب كون هذا الغلام كافراً فقتله كي لا يدفع أهله إلى الكفر باتباعهما له لحبهما إياه، ولكي يسعى أبواه إلى إنجاب ولد آخر يكون صالحاً باراً بهما.

لهذا فليثق المؤمن بقضاء الله عز وجل وليتذكر قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فكم من مرةٍ، أخي القارئ، أردتَ أمراً فصرفه الله عز وجل عنك فوجدت لذلك غمّاً في قلبك ثم علمت بعد فترة أن ذلك كان لخيرك. ومما يُروى في

هذا المجال أن «أحدهم كان إذا أصيب بشيءٍ أو ابتلي به يقول: خَيرة، فاتفق ليلةً أن جاء ذئبٌ فأكل ديكاً له، فقيل له فقال: خيرة، ثم ضُرِب في تلك الليلة كلبه فمات فقال: خيرة، ثم نهق حماره فمات فقال: خيرة، فضاق أهله بكلامه هذا ذرعاً. فاتفق أن نزل لهم في تلك الليلة عُرْبٌ أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمحلة ولم يسلم غيره وأهل بيته، استدل العُرب النازلون على الناس بصياح الديك ونباح الكلب ونهيق الحمار وهو قد مات له كل ذلك فكان هلاك هذه الأشياء سبباً لنجاته فسبحان المدبِّر الحكيم»[1].

وفي الختام، أدعو الله أن يصرف البلاء عن المؤمنين وعن أمة الإسلام، وأن يجعل ثواب هذا الكتاب في صحيفة الغالية التي توفّاها الله الحكيم: هدى محمد القاطرجي، رحمها الله وأدخلها فسيح جناته، اللهم آمين.

---

(١) ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص٢٠.

## دعـــاء

اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وشاهدِنا وغائِبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذَكَرِنا وأُنثانا، اللهم من أَحْيَيْتَهُ منّا فأَحْيِهِ على الإسلام، ومن تَوَفَّيْتَهُ فَتَوَفَّهُ على الإيمان، اللهم لا تحرِمنا أجره ولا تُضِلَّنا بعده.

# لائحة المصادر والمراجع


* **القرآن الكريم.**
* **كتب السنة النبوية الشريفة.**

١ ـ ابن العربي، **الوصايا**، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

٢ ـ ابن عطاء الله السكندري، **التنوير في إسقاط التدبير**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

٣ ـ ابن قيّم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، حققه وعلّق عليه الدكتور السيّد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

٤ ـ ابن هشام، **السيرة النبوية**، مطبعة الحلبي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ. ـ ١٩٥٥م..

٥ ـ الغزالي، أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

٦ ـ الكاندهلوي، محمد يوسف، **حياة الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

# المحتوى


* **الإهداء** ..... ٣
- الفتنة والابتلاء ..... ٥
- شدة البلاء ..... ١٥
- أنواع البلاء ..... ٢٠
  ١ ـ الابتلاء في النفس ..... ٢٢
  ٢ ـ الابتلاء في المال ..... ٢٥
  ٣ ـ الابتلاء في العِرْض ..... ٢٦
  ٤ ـ الابتلاء في الأهل والأحباب ..... ٢٧
- أسباب الابتلاء ..... ٣٢
- فوائد الابتلاء ..... ٣٦
- دواء الابتلاء ..... ٣٨
- الخاتمة ..... ٤١
* **دعـاء** ..... ٤٦
* **لائحة المصادر والمراجع** ..... ٤٧
* **المحتوى** ..... ٤٨




*011FS55619*